مقدمة الطبعة الثانية

وراء هذه الطبعة أحداث تجعلها تختلف عن غيرها من الطبعات التالية لبقية الكتب الأخرى الخاصة بى، ولعلها لا تحدث كثيراً مع غيرى من أصحاب الكتب فى عالمنا العربى.

فما حدث لهذه الطبعة ربما يكون من الأمور الغريبة فى دنيا النشر بوجه عام، إذ كيف يطلب منك ناشر الطبعة الأولى لهذا الكتاب إعادة طباعته، ويلح فى ذلك مراراً، سواءٌ كانت هذه الإعادة عن طريقه أو عن طريق غيره، مبرراً مطلبه فى كل مرة بأنه يريد تحقق النفع للقارئ؟

لقد حدث هذا بالفعل حين طالبنى الصديق والزميل الأستاذ محمد سلماوى (الكاتب بالأهرام ورئيس تحرير الأهرام إبدو) ناشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب، مناشداً إيّاى أن أعيد طباعته، مؤكداً أن ما لديه من مخزون الطبعة الأولى قد نفد تماماً منذ سنوات، ورغبة منه فى تحقيق الفائدة يتمنى إعادة طباعته، سواءٌ عن طريقه أو عن طريق غيره. وأكد مطلبه هذا حين وجه إلىّ خطاباً يفيد بهذا المعنى، وكأنه يحثنى مشكوراً على النشر، أو يريد أن يضع حداً لتقصيرى حيال كتاب مضت على طبعته الأولى أكثر من أربعة عشر عاما.

ونزولاً على رغبة الأستاذ محمد سلماوى فكرت فى الأمر. فما الذى يمنع من إعادة طباعة هذا الكتاب؟! خاصةً وأن طبعته الأولى نالت بعض الرضا من القراء والنقاد على حدٍ سواء.

ولا أخفى سراً إن قلت: إننى تمنيت أن تكون الطبعة الثانية عن طريق هذا

الصديق لسابق فضله ورقى تعامله. ولكن منعتنى من ذلك معرفتى بشواغله الصحفية، ولعلنى أظهرت له شيئًا من ذلك حين صارحته بأننى سأعيد طباعة هذا الكتاب عند غيره. فوافق مؤكدًا أن ما يهمه هو انتشار مادة هذا الكتاب وتعميم نفعه، سواءٌ عن طريقه أو عن طريق غيره.

وقد تولى الصديق والزميل بالمجلس الأعلى للثقافة الأستاذ محمد رشاد (صاحب الدار المصرية اللبنانية) مهمة إعادة نشر هذا الكتاب على هذا النحو الذى هو عليه الآن.

وكعادته ـ أى الأستاذ محمد رشاد ـ اطلع على الكتاب بعين الناشر التى تختلف ولاشك عن عين المؤلف؛ ليناقشنى ـ بعد ذلك ـ فى أمرٍ رآه مستحقاً لإعادة النظر، ومؤداه أن هناك من المفكرين الذين ضمهم هذا الكتاب ثلاثة كانوا على قيد الحياة عندما صدرت الطبعة الأولى. وهم كبيرنا الأستاذ توفيق الحكيم، وشيخ الفلاسفة الدكتور إبراهيم بيومى مدكور، وحارس الثقافة العربية الأصيلة محمود محمد شاكر قد رحلوا عن دنيانا. فهل فى الإمكان تعديل المادة الخاصة بهم فى الطبعة الثانية بما يفيد حقيقة رحيلهم، أم نبقى على هذه المادة كما هى؟

والحق أننى فكرت فى تساؤل الأستاذ محمد رشاد، الذى ينطوى على أمرين: إما أن نعدل المادة الخاصة بهؤلاء المفكرين الثلاثة بشكلٍ يتماشى مع مقتضى الحال، أم نبقى عليها كما هى دون تعديل؟

واخترت الأمر الثانى لما له من جاذبيه خاصة، مؤداها أن هذا الكتاب صدرت طبعته الأولى فى حياة هؤلاء الثلاثة، وقد اطلعوا عليه بالفعل، وكانت لهم فيه آراء طيبة، وملاحظات ذكية، فلماذا أحرم الطبعة الجديدة من هذه الميزة التى ربما لا تتكرر كثيرًا. وهى نشر فكر المفكر فى حياته، وتحقق رضاه عما جاء فيها. كنوع من التوثيق الذى يتطلبه المنهج العلمى فى مثل هذه الحالات.

والشىء بالشىء يذكر، إذ لا أنسى صباح أحد الأيام حين دق فيه التليفون فى مكتبى بالأهرام، وإذا بالمتحدث هو كبيرنا الأستاذ توفيق الحكيم. وأعترف أننى

فوجئت بذلك، حيث كان من النادر أن يتصل الأستاذ الحكيم بمن هم فى مرتبة أبنائه وتلاميذه. وربما أدرك بحاسته الذكية ما يساورنى من قلق، فما كان منه إلا أن بادرنى مهنئًا على إصدار هذا الكتاب، مضيفًا إلى ذلك كلمات طيبات تدور حول ما نشرته عنه فى أحد فصول هذا الكتاب. وبطبيعة الحال كانت هذه الكلمات الطيبات مقرونةً ببعض الملاحظات.

وإذا كنت أحتفظ لنفسى بتفاصيل الكلمات الطيبات التى أعدّها شهادة من الأستاذ الحكيم ووسامًا أعتز به ما حييت، فإننى لا أملك أن أخفى عن القارئ ملاحظات الأستاذ الحكيم. ومنها أن هناك خطأ فى ترتيب ترقيم الصفحات فى الفصل الخاص به وأخطاء طباعية فى بقية الفصول، وأنه ينصح بأن تكون نوعية الورق فى الطبعات التالية أفضل من النوعية.التى ظهر بها الكتاب فى طبعته الأولى، وأن يعاد النظر فى تصميم الغلاف وما يتضمنه من عنوان الكتاب، والأسماء المتناثرة عليه بشكلٍ أكثر فنية، وأن تكون الخطوط أكثر بروزًا والحروف أكثر وضوحًا.

وحمدت الله على أن ملاحظات الأستاذ الحكيم اقتصرت على الشكل فحسب، دون أن تمس الجوهر أو المضمون.. غير أن الذى لا أنساه هى هذه التساؤلات التى ألحت علىّ بعد مكالمة الأستاذ الحكيم، ولاتزال تلح حتى الآن، وهى كيف حصل الأستاذ الحكيم على النسخة الأولى من هذا الكتاب التى لم تكن قد وصلتنى كمؤلف؟! وكيف قرأها واستوعب كل ما فيها بهذه السرعة؟! ولماذا كان كل هذا الاهتمام بفصلٍ كُتب عنه ضمن كتابٍ، فى الوقت الذى كان تكتب عنه كتبٌ ومجلدات؟!

وازددت اطمئنانًا لما جاء فى هذا الكتاب، حين لقيت الرضا نفسه من أستاذى فى الفلسفة الدكتور إبراهيم بيومى مدكور، وأستاذى فى الحياة العلامة محمود محمد شاكر، فلم تزد ملاحظتهما، ولم تقل آيات ثنائهما عما لقيته من الأستاذ الحكيم.

وقد يدرك مثل هذه المشاعر ويعتز بها الذين يكابدون العمل فى تقديم الكبار

فى أثناء حياتهم، حيث لا يستشعرون راحةً أو هدوءًا إلا بعد الاطمئنان على رؤاهم، على اعتبار أنهم أعرف من غيرهم بأسرار أعمالهم ومواقفهم، وهذه فى حد ذاتها ميزةٌ قد لا تتحقق كثيرًا. فلماذا أحرم هذا الكتاب فى طبعته الثانية من هذه الميزة؟!

وبعد فهذه الطبعة الثانية لهذا الكتاب، بين يدى القارئ كما هى، بحيث لا تزيد عن سابقتها إلا فى الشكليات وتصويب بعض الأخطاء، راجياً أن أكون قد التزمت بتنفيذ ملاحظات المفكرين الثلاثة فى هذه الشكليات.

وقبل ذلك وبعده أرجو أن تحقق هذه الطبعة ما اشتملت عليه من أفكار رضى عنها القارئ الذى يهمه البحث عن القيم الإسلامية الأصيلة، التى أجهد هؤلاء المفكرون أنفسهم لتبيانها وتوضيحها وبلورتها من خلال كتب ومجلدات، ربما زادت عند أحدهم (الأستاذ العقاد) عن الثلاثين كتابًا فى الإسلام بشكل ينبئ عن إحساسهم بالرسالة التى اضطلعوا بالقيام بها طوال حياتهم.

وأخيرًا أرجو أن تكون صفحات هذا الكتاب معبرةً عن شىء، من آراء وأفكار هؤلاء المفكرين الكبار فى الإسلام، مؤكدين أننا على موعد ـ بإذن الله ـ للقاء آخر يجمعنا مع أفكار قممٍ إسلامية أخرى لمعت على امتداد العالم العربى والإسلامى، فى آسيا، وفى شبه القارة الهندية، وفى الشمال الإفريقى، وفى وسط أوربا، وفوق ثلوج سيبريا... بل وفى كل مكان على الكرة الأرضية ينطق لسانه بشهادة أن لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، وذلك فى الجزء الثانى من هذا الكتاب.

والله الموفق...،

سامح كريّم

المعادى فى: ٢٨/ ٩/ ١٩٩٨م

مقدمة الطبعة الأولى

شاءت دار «ألف» للنشر أن تستهل باكورة تعاونها مع «دار الوفاء» للنشر بفصول من هذه القمم والأفكار الإسلامية، التى كنت قد بدأت نشرها بجريدة الأهرام فى رمضان من كل عام.

وقد رغبت الداران مزيداً من الصفحات للفصل الواحد.. ربما تزيد عن عشرة أمثال ما كنت أنشره فى المقال الواحد، على اعتبار أن ما يستوعبه فصل فى كتاب قد يعجز عنه ما يتضمنه مقال فى صحيفة يومية سيّارة.

وانتظرتا ـ وهما مشكورتان على ثقتهما فى كتابات صاحب هذه السطور أن تضاف إلى هذه القمم الإسلامية، التى أخذت على عاتقها مسئولية التنوير للوجدان المصرى والعربى والإسلامى، وبذلت فى سبيل ذلك الكثير من التضحيات الباسلة.. قمٌم أخرى من علماء وأئمة الأزهر ممن لهم مواقف خالدة فى تاريخنا.. وقممٌ إسلاميةٌ ثالثة أنارت بفكرها المؤمن، الجوانب المظلمة فى بلادها المتحضرة فى عالمنا المعاصر.

ولعل خطة الدارين.. أن تكتمل هذه السلسلة الذهبية من القمم الإسلامية، بهؤلاء المفكرين المصريين، والمفكرين العالميين، وعددٍ من مفكرى الأزهر الشريف.

ومن هنا حق لنا أن نطوف ـ بإذن الله ـ مع القارئ الكريم فى ذلك البستان العامر بالكفاءات والكفايات الإنسانية؛ لنقطف من أزهاره ما شاء لنا القطوف وما استطاع جهدنا المتواضع أن يتأمله ويستوعبه.

لهذا فلا مفر من تقسيم هذه القمم الإسلامية إلى ثلاثة أقسام. بدأنا بهذا القسم الذى فوق راحة اليد الآن. وعن القمم التى ارتفعت أصواتها بكلمة الإسلام فى الفكر المصرى الحديث، هؤلاء الذين أضافوا إلى تخصصاتهم غير الأزهرية كتبًا للفكر الإسلامى، يرجع إليها الباحث والدارس فى كل زمانٍ ومكان.

يتبع هذا القسم.. قسمٌ آخر عن أفكار هذه القمم الإسلامية، التى لمعت على امتداد العالم الإسلامى.. فى آسيا، فى شبه القارة الهندية، فى شمال إفريقيا، فى وسط أوربا، أو هناك فوق ثلوج سيبيريا.. فى كل مكانٍ على الكرة الأرضية.. مفكرون يتمتعون بالعديد من القوميات والجنسيات، ولكنهم يدينون بدينٍ واحدٍ هو الإسلام، ويفكرون بصوتٍ يسمعه أبناء الحضارات الحديثة، مؤكدين أنّ هذا الدين الوحيد.. الذى قامت على دعائمه حضارة، أضاءت أوروبا فى عصور ظلامها لتقوم عليها الحضارة الحديثة.

ويسلمنا هذا القسم إلى قسم ثالث.. نراه أكثر تخصصًا، لأن أصحابه هم من نتاج الأزهر الشريف.. هذا المعهد العريق فى العصر الحديث، فنمضى مع فكر هؤلاء الأئمة والعلماء والشيوخ الأجلاء الذين كانت لهم مواقف باهرة، ضد كل ما فى الحياة من عجزٍ وضعف.

ومن هنا.. من رغبة ومشيئة الدارين.. تفرع الكتاب لكى يكون ثلاثة كتب أو ثلاثة أجزاء، واتسعت المقالة.. لكى تكون فصلاً بأكمله، وتحولت الإشارة العابرة إلى هذه القمم والأفكار الإسلامية.. لكى تكون عملاً يرجو القائمون من ورائه تحقيق رسالة، ويتمنون فى الوقت نفسه أن يحسنوا تقديمها.. بشكلٍ ينال بعض الرضا.

والله ولى التوفيق...،

سامح كريّم

المعادى/ يناير ١٩٨٤م